ليبية هاربة من مجنون ليبيا

سلطان محمود
تصوير • سعد نيس

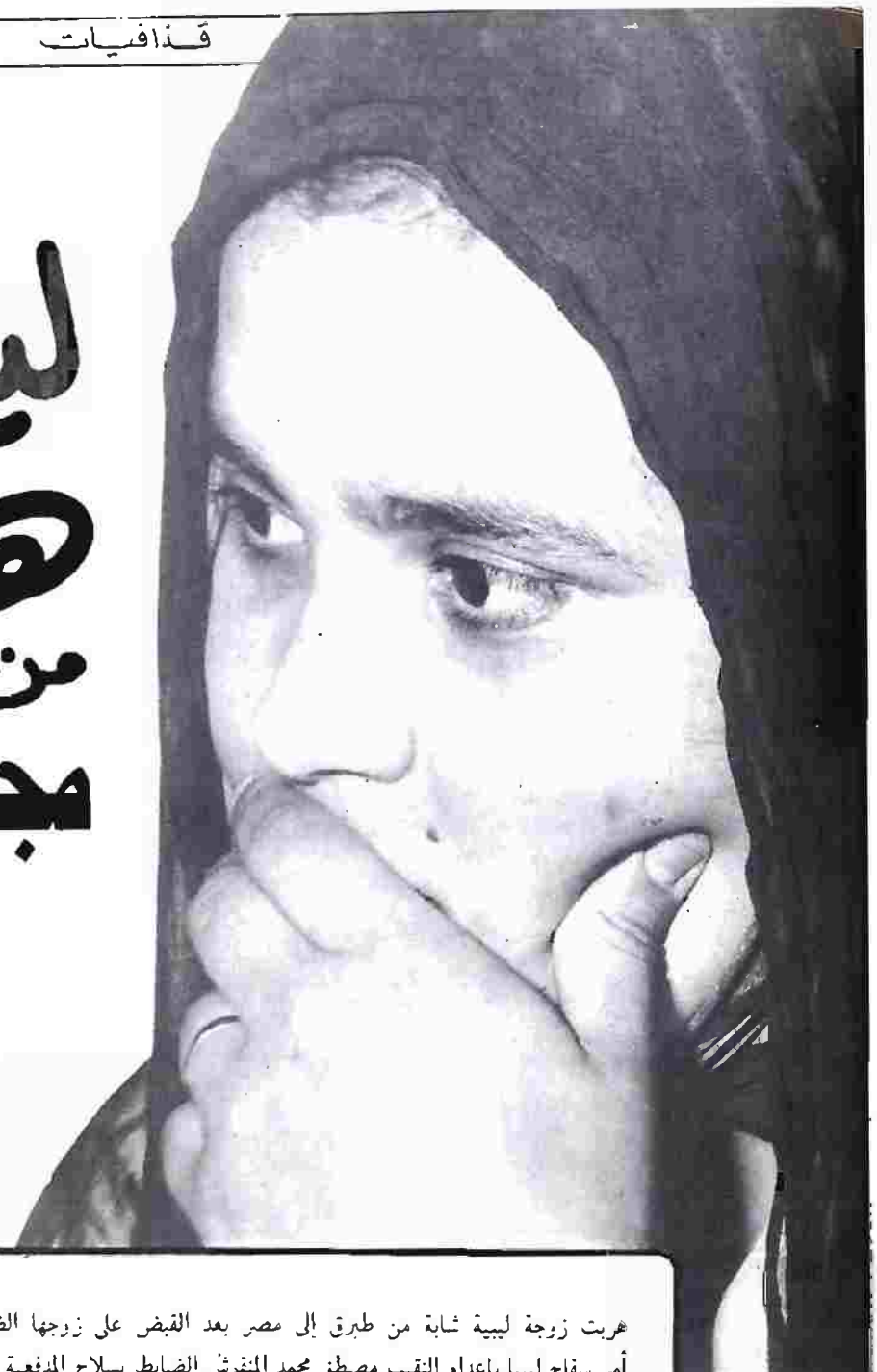

• عطيات الأرملة الليبية الصغيرة الصغيرة مع طفليها الصغيرين من القذافي

هربت زوجة ليبية شابة من طبرق إلى مصر بعد القبض على زوجها الضابط الليبي الشاب.

أمر سفاح ليبيا بإعدام النقيب مصطفى محمد المنفرش الضابط بسلاح المدفعية في قاعدة طبرق. ونفذ حكم الإعدام رميا بالرصاص يوم ٢ أبريل الماضي. طلب منها الضابط الشهيد عند زيارتها له لآخر مرة في السجن الحربي بطرابلس أن تهرب بطفليها الرضيعين. تمكنت من الهرب قبل جلسة النطق بالحكم. لم يرتكب الضابط الشهيد أية جريمة، إنه اشترك فقط مع ٣٩ ضابطا شابا في تقديم عريضة إلى مجنون الصحراء الدموي ينتقدون فيها تصرفاته الطائشة. خدع القذافي الضباط الشبان وأعلن لهم أنه مستعد بأسلوب ديمقراطي للاستماع إلى وجهة نظرهم. وطلب منهم كتابة رأيهم في سياسته. أصيب بلوثة عندما قدم أربعون ضابطا انتقادات لسياسته وتصرف بنذالة وسفالة.. وأجرى محاكمات صورية للضباط وأعدم الأربعين ضابطا في وحداتهم العسكرية لإرهاب باقي زملائهم. نفذت جميع الأحكام في الشهر الماضي. تكلمت الزوجة الليبية الشابة الهاربة من حمامات الدم - لأول مرة - إلى أكتوبر. روت تفاصيل مأساتها فقد حولها سفاح ليبيا إلى أرملة وهي في التاسعة عشرة من عمرها. وأصبح طفلاها الرضيعان يتيمين حرما من أبيهما الضابط الشاب.

● التقيت بالأرملة الصغيرة . ما أقسى أن تتحول هذه الشابة التي لم تتجاوز التاسعة عشرة إلى أرملة !. صغيرة جدا يا سيدتي على أن تحمل هذا اللقب .

إنها تجلس شاردة . وقد تحجر في عينيها بقران من الدموع . حتى طفلاها الرضيعان لا يكفان عن البكاء . وكأنهما يعرفان مصير أبيهما الشاب الذي حرما منه إلى الأبد ، ولن يسمع هو منهما النداء الخالد الذي يعشقه أي أب - بابا -

● الصغيرة التي تحمل لقب أرملة اسمها عطيات أنور محمد فياض . تحاول أن تخفف ثير الدموع .. وتقول :

ماذا فعلت للقذافي ؟.. ماذنب طفلي الرضيعين ؟.. ماذا ارتكب زوجي الرجل طيب القلب ؟..

وتكاد تصرخ من أعماق قلبها الذبيح المرجوع .. وماذا فعل هؤلاء الشبان الأبرياء ؟ .

تختنق الكلمات . وتنهمر الدموع . وتحاول أن تتماسك وتقول في صوت كالأنين :

إن حياتي مع زوجي الشهيد مرت سريعة خاطفة كالحلم . كانت حلما جميلا . استيقظت منه على كابوس أسود داه .

ظهر في حياتنا كفارس من فرسان الحواديت كنت أحلم عنه .. ولم أتصاهده . لأن والدي الحاج أنور محمد فياض يقيم في مصر منذ عدة سنوات كان أقاربنا القادمون من ليبيا يزورون أبي وأمي وكانت أمي عائشة المقتوش تحدثني عن أبناء شقيقها المقيمين في مصر أنه - عبد الحفيظ .. وعبد الله وبشير .. وعلي . وحمد ومصطفى . اثنان منهما يعملان مدرسين وأحران تاجران . ومصطفى .. ضابط .. جاءوا جميعا لزيارة عمتهم في مصر . إلا هو .. إلا مصطفى . لم يحضر معهم ولا مرة . وفي صيف عام ١٩٧٠ رن جرس البيت فتحت الباب . وجدت شابا يرتدي ليفيا .. وبنطلونا ومعه أحد جيراننا جاء ليرشده إلى بيتنا .

قال لي هل أنت عطيات ؟ . دهشت لأنه يعرفني . وكنت ما زلت أنظر إليه من شراعة الباب .. فنحن لا ندخل الغرباء بيوتنا أبدا . وقال .. أتتركين ابن خالك على الباب أنا مصطفى .. ناديت على أمي التي هللت فرحا .. وعانقته . ما زلت أذكر هذه اللحظة . كان يرتدي قميصا حواريا .. وبنطلونا بيج كنت في الثالثة عشرة من عمري وتلميذة بالإعدادية .

وكان هو ملازما أول بالجيش الليبي !.

قال لنا . إنه حضر إلى مصر في دورة تدريبية وأصبح يتردد علينا في إجازاته .

وفي صيف عام ١٩٧٢ قالت لي أمي : ابن خالك مصطفى يطلب يدك . ما رأيك .

احمر وجهي . وأطرقت برأسي . ولم أرد . ولما كررت الكلام . لم أستطع غير أن أقول اسألي .. أبي

وكنت في أعماقي أكاد أطير من الفرحة . لأن مصطفى كان شابا طيبا . أبيض القلب . مؤدبا .

● تصمت الأرملة الصغيرة قليلا .. وتقول :

منذ تلك اللحظة لم أعد أجلس مع أبي وإخوتي عند حضور مصطفى لزيارتنا . هكذا تقضي تقاليدنا ، ولم أجلس معه إلا يوم ٣١ مايو عام ١٩٧٣ . كنت بجواره في الكوشة .. في حفل زفافنا الذي أقيم بمسرح نجيب الريحاني بكامب شيزار على كورنيش الإسكندرية تحدث معي لأول مرة منذ عام كامل . قال لي كلاما .. حلوا كثيرا .. وأمضينا يومين في سيدي بشر .. ثم سافرنا إلى القاهرة لقضاء شهر العسل .

● تبكي عطيات أنور فياض بحرقة وتقول :

والله لم يكن شهر عسل واحدا . أمضينا شهرين كاملين . مرا كالثواني . كان سعيدا بي . وكنت أكثر سعادة به . لم نترك مكانا واحدا في القاهرة لم نزره . دخلنا كل المسارح . زرنا البرج .. والأهرام .. مكان واحد أرغب في زيارته وانتهت الإجازة قبل أن يحقق لي مصطفى هذه الرغبة . كنت أرغب في زيارة القناطر الخيرية ونسيت ذلك . ووعدني مصطفى بأن يحقق لي هذه الرغبة في أول إجازة قادمة .

وسافرنا في أول أغسطس إلى طبرق . قاد مصطفى سيارته الثيرتا الزرقاء الصغيرة .. ووصلت إلى شقتي . بيتي الجديد .. في عمارة البحرية في طبرق . شقة جميلة من ٤ حجرات .

يكره القذافي .. بسبب موقفه من حرب أكتوبر

● وبعد شهرين فقط جاءت حرب أكتوبر العاشر من رمضان . وكان مصطفى في مقدمة الضباط الليبيين الشبان الذين طلبوا أن يشاركوا في الكتيبة الليبية التي وصلت إلى مصر . وحضرت خلفه . ثم عدنا بعد عودة الكتيبة ، وكان مصطفى حزينا . لم يكن يريد أن يترك الجبهة . كانت بداية تمزقه واكتشافه لشخصية القذافي الحاقدة المتناقضة . يتكلم عن الوحدة مع مصر ويملأ الدنيا ضجيجا .. ويكون أول من يدير ظهره لمصر .. وهي تخوض أشرف حرب ويكون أول من يسحب جنوده من الجبهة .

لم يتكلم معي مصطفى في هذا . فقد كان بطبعه كتوما لكنني فهمت ذلك . لأنه عند إلحاحي عليه لمعرفة سبب حزنه .. ونحن عائدان بالسيارة إلى ليبيا فوجئت بدموعه تملأ وجهه .. ويقول لي .. إنه لا يتصور أنه يترك إخوته على الجبهة .. وبعود ليقيم في بيته .

وتعود عطيات إلى البكاء . ويتحدث والدها الحاج أنور فياض . إنه يعيش منذ سنوات في مصر .. مع زوجته وأبنائه الثمانية عطيات وسلوى ومحمود وجميلة وفتحية وعادل ومصطفى وسميرة . يقول :

كان مصطفى شابا وطنيا . عندما زرته في ليبيا في يونيو عام ١٩٧٥ . لاحظت أنه ما زال غاضبا وغير راض عن سياسة القذافي . أصبح لا يحبه منذ حرب رمضان . لم يصرح لي مصطفى بحقيقة مشاعره . فكان لا يحب الكلام في السياسة ، لكنني فهمت هذا من بعض تصرفاته . مثلا كان يقفل التليفزيون على الفور بمجرد ظهور القذافي على شاشته . مرة واحدة تكلم مصطفى وهو يضحك في أسف . فقد كان التليفزيون ينقل احتفالا حضره القذافي في قاعة عقبة بن نافع . وكان القذافي يخطب . ثم فجأة يجري إلى حصانه الأبيض . ويمتطيه . ثم يعود إلى

● الشهيد الليبي وعروسه نعم القذافي حينها

البكرفون وقال مصطفى : هل هذه تصرفات حاكم . ورئيس دولة . أم تصرفات طفل يلهو أمام الناس . وأغلق التليفزيون .

● ويضيف الأب الحزين قائلا :

لم أكن أتصور أنه بعد زيارتي لزوج ابنتي . في أول صيف عام ١٩٧٥ أنه سيقبض عليه بعد ذلك بشهور . وحتى عندما قرأت في إحدى الصحف المصرية أنه تم القبض على مجموعة من الضباط الليبيين الشبان . لم أكن أتوقع أن مصطفى من بينهم . لأني أعرف أنه لا يمارس أي نشاط سياسي . لذلك صدمت عندما جاء ابني الأصغر محمود والذي كنا قد تركناه مع شقيقته ، وعاد في شهر سبتمبر ليقول لنا إنه تم القبض على مصطفى مع الضباط الآخرين .

شقيق أرملة الشهيد يصف .. اللحظات الأخيرة

● ونستمع إلى محمود الصبي الصغير التلميذ بالأول الثانوي فيقول :

إنه كان مع الشهيد مصطفى المقتوش قبل القبض عليه بدقائق . ركب ابن خاله وزوج شقيقته سيارة بيضاء إنها سيارة شقيق الشهيد كان النقيب مصطفى المقتوش قد سافر من طبرق إلى مدينة مصراته ليقضي إجازة صغيرة مع زائدته المقيمة بها .

وفي ذلك اليوم دعتنا شقيقته إلى الغداء - هكذا يواصل محمود روايته - واصطحبني ابن خاله إلى مقهى لنشرب الشاي .. ونقضي بعض الوقت قبل أن نذهب لتناول الغداء . لكنه لاحظ قبل وصولنا إلى المقهى سيارة عسكرية أمام المقهى . فعاد به إلى بيت شقيقته . وتوجه إلى منزل والدته . أحسست أن هناك شيئا ما غير عادي فركبت دراجة ولحقت به . وعرفت أن إخوته أبلغوه أنه مطلوب للذهاب إلى قيادة حامية مصراته .

فوجئت به يقول لي يا محمود .. خذ شقيقتك وعد بها إلى مصر ، ولا تقلقا من أجلي . ولا داعي لأن تزعج عطيات بأي شيء .

وتعود عطيات الأرملة الصغيرة إلى الكلام .. فشلت محاولاتها في منع طفلها الرضيعين اليتيمين من البكاء ..

قالت ..

إن مصطفى كان شجاعا ونبيلا . ولم يكن خائفا لأنه كان واثقا أنه لم يرتكب أية جريمة أو مخالفة لقد حضر إلى بيت شقيقته . وأعطاني كل ما معه من فلوس حوالي سبعين جنيها .. وقال لي إنه ذاهب في مهمة عمل .. وإنني يجب أن أعود إلى مصر .. وسيلحق بنا بعد ذلك .

وذهب ولم يعد . أخفوا جميعا عني وعن والدته العجوز المكينة . عائشة محمد الأسطى التي تجاوزت السبعين من عمرها أنه مقبوض عليه

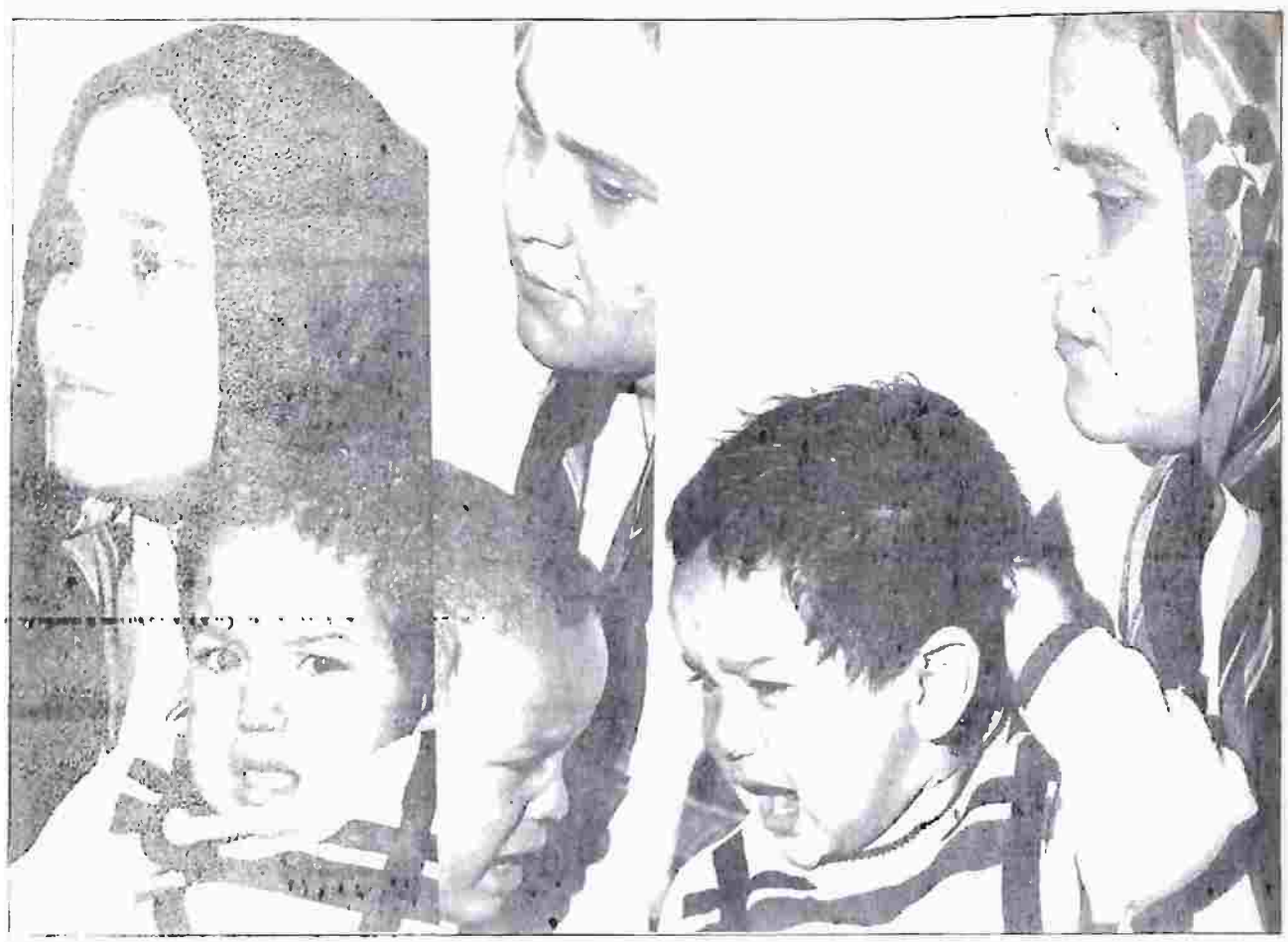

● مصطفى أثير أرملة الشهيد شريفة شكوه لأم

ولكنني أحسست أن مصطفى فى خطر عندما بدأن نساء الأسرة فى زيارتى يوميا..

كنت أقرأ فى عيونهن كلاما.. وحزنا.. ودموعا يحاولن إخفاءها صرخت.. ماذا حدث؟ هل جرى لمصطفى أى شىء؟..

ولم يصارحنى إخوته بالحقيقة إلا بعد أن غادرا بى إلى مصر مع تشيق!

زوجى شجاع.. سلم نفسه!

● وعرفت أن زوجى لم يقبض عليه. وإنما سلم نفسه. ذهب لهم برجليه. كان يستطيع الهرب. وقد عرفت أن أحد قادته نصحه بذلك قال له: يامصطفى اهرب.. لأننى عرفت أن مخابرات القذافى تتبعك بعد توقيعك على الوثيقة التى انتقدت سياسته.

لكنه قال أنا جندى. ولا أهرب. وإذا كانت عندهم شجاعة فليحاكمونى. كان يظن أن عندهم أخلاقا. أو نبلا. أنهم سيحاكمونه محاكمة حقيقية. لكنهم مجرمون. القذافى.. وعصابته. ربنا ينتقم منه ومنهم.. تصرفوا بوحشية وجنون سجنوه أكثر من عام. وحاكموه محاكمه صورية.

ونفذوا حكم الإعدام فى شاب لم يرتكب أية جريمة.

المحتضن الأم الأرملة رضيها الصغير وليد» .. وتقول ماذنب هذا الطفل؟..

إنه ولد وأبوه فى السجن.. لقد تزوج قلبى عندما عرفت من إخوة مصطفى أنه يسألهم عند زيارتهم له فى السجن عن ابنه الذى لم يشاهده. لذلك قررت أن أعود إلى ليبيا مهما كانت العواقب.

وعدت فعلا. وزرت مصطفى فى سجن طرابلس الحربى. كدت أفقد عقلى عندما رأيته هزيلا شاحبا. جسده الممتلىء تحول إلى هيكل عظمى. حاولت أن أتماسك. وأحبس دموعى. حتى لا أضاعف من آلامه واحتضن مصطفى إبنه وليد لأول مرة وكان عمره ثلاثة شهور. فوجئت بزوجى صاحب القلب الجرىء. الذى رفض أن يهرب وسلم نفسه لجلاديه.. فوجئت به يبكى بانفعال شديد..

لكنهم كانوا بلا قلب كنا نزوره وبيننا سور. ولم يتركوا الطفل بين يديه. كان الحراس يحيطون بنا لم يسمحوا حتى هذا اللقاء بين أب وطفله الرضيع. أنهوا الزيارة بعد عشر دقائق.

آمرنى فى السجن اهربى بالطفلين

● وأسألك عن الكلام الذى دار بينهما فى زيارة السجن فتقول:

لم يكن ممكنا أن نتكلم فى أى شىء لأنه يقف بين حارسين وخلف ثالث ونحن واقع تحت مراقبة خمس عيون ولا نتكلم فى أى شىء سوى السؤال عن الصحة ويطلب منى الاهتمام بنفسى وبالطفلين وجسدى يرتجف ويبكى مصطفى وأبكى معه حتى تنتهى الزيارة.

مرة واحدة طلب منى أن أشترى له كتب تفسير القرآن وبعض الكتب الدينية الأخرى فقد كان مولعا بمتمسكا بالدين وحفظه الكتب فى الزيارة التالية.

تقول: فى آخر زيارة قلت ليصطفى فى السجن كان شبحا باهتا كان يشعر بأنه يقترب من النهاية فوجئت به يقول لى عودى إلى مصر بأية طريقة اهربى بالطفلين فورا لأن الخطر محيط بك ولا يتركنى إلا بعد أن أقنعته أنى سأهرب بأية طريقة.

فزعت لاصراره على مغادرتى ليبيا وكانت مشكلة كيف أهرب وهتاك رقابة شديدة لكن الله كان معى. وبواسطة بعض زملاء مصطفى وأقاربه من الضباط والمدنيين الشجعان تمكنت من الهرب وحضرت إلى هنا.

واكتشفت أن مصطفى كان يعرف أنه سيصدر الحكم بإعدامه. فقد أصدروا هذا الحكم النازى على مجموعات من زملائه بدون محاكمة.

ودعت مصطفى إلى الأبد وخرجت أحضن رقية أرسلت أحد أقاربنا من فرع ليبيا لتسلمنا ليلة يوم حكم الإعدام. فصدر فى مصطفى يوم ٢ أبريل الماضى. فقد أخبرنا أن القذافى تحول إلى مستشفى لتلقى العلاج بعد محاولة أحد الضباط قتله. وقال أنه كذاب ويحاول استغلال موته لاستعطاف الجماهير.

إن ما أتمناه أن يستريح ويحتفظ الأطباء بالأعضاء الشريفة لأبطال الإنسانية. لابد أن تستجيب قلوب العدالة الانسانية وستكون نهايته سريعة.

● وأترك الأم الأرملة الصغيرة أميمة أحزانها وأنظر فى عينيها وانتظر لأعرف منها. قالت لى: إننى أحتفظ لوالدى بذكرى طيبة أحتفظ بصورته وبكل أخباره منذ هذا الفشل المجنون. قلت له لا تحتمل يا أبى. إبعد فى مصر المحروسة. تحياته لك. وأبشرك بتحريرها كل المصريين بل الأحرار فى العالم. هذا الجنون الذى تعرضت له ليبيا من طغيان مجنون. لا تكاد مصيبة تنتهى حتى تبدأ أخرى. زوج ابنتى وأخوه الأكبر. أخشى ما أخشاه أن يسقط الطغاة والقتلة من قادة الثورة الذين يلقى الشعب الليبى كل يوم جرائمهم ضد الإنسانية. وأن يفلت من عقاب الشعب.